# خطبة جمعة مفرغة

# بعنوان

## إجابة السائل عن موجبات الخزي العاجل

لفضيلة الشيخ
يحيى بن علي الحجوري
حفظه الله

مسجد إبراهيم شحوح سيئون
الجمعة 23 صفر 1445هجرية
✍ أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: في كتاب بدء الوحي من صحيح البخاري بداية بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول عائشة رضي الله عنها : أوّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصّادِقَةُ في النّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتي حِرَاءً فَيَتَحَنّثُ فِيهِ -وهو التّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ- ويَتَزَوّدُ لذلكَ، ثُمّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّالِثَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمّ أرْسَلَنِي فَقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ}فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حتّى دَخَلَ على خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما

لي؟ وأخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، فَقالَتْ له: كلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكلَّ، أي العاجز الضعيف الذي لا يقدر على كفاية نفسه كاليتم وغيره، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكلَّ ، وتكسب المعدوم، أي يبذل المال ويعطي المعدوم، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

هذه خمس صفات أقسمت خديجة بالله عز وجل أن الله لا يخزي محمداً صلى الله عليه وسلم وهو يتصف بهذه الصفات التي عرفتها منه، وهذه الصفات عباد الله من اتصف بها لا يخزيه الله، صفاتٌ عظيمة، صلة الرحم عظيمة، حملان الضعيف والإنفاق عليه والرعاية له شيءٌ عظيم، اكساب المعدوم وبذل المال على حبه شيء عظيم، قرى الضيف وإكرام الضيف شيء عظيم واجب مهم، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، الإعانة على نوائب الحق وأمور الحق شيء عظيم لا يتصف به إلا خيار الناس، أن يعين على كل حق ونوائب الحق وأمور الحق.

ولما قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله : إنا لا نستطيع أن نخلص إليك إلا في شهر حرام حال بيننا وبينك هذا الحي من مضر فأمرنا بأمر نعتصم به نأمر به من وراءنا، كان مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، ثم علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر في الحديث.

والشاهد أن الذين جاءوا لتعلم دينهم ونشر دين الله أنهم قوم لن يخزيهم الله، ولن يندموا، فهذا الفعل الذي يقوم به، هذا سبيل عز ومكرمة ليس سبيل خزي وندامة، مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى.

أيها الناس : إن الخزي والندامة كل الخزي والندامة على من تخلى عن أسباب الكرامة، تخلى عن مكارم الأخلاق المذكورة في هذا الحديث، تخلى عن دين الله المذكور في حديث وفد عبد القيس، تخلى عن الفطرة التي فطره الله عليها، هذا هو الخزي، ولهذا قال الله عز وجل:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) }[البقرة:85]

هؤلاء قوم من اليهود وفدوا المدينة على المشركين الذين بالمدينة أصحاب أوثان، بنو قينقاع وبنو النظير وبنو قريظة كل فرقة منهم حالفت فرقة من المشركين ، فكانوا إذا حصل قتال بين المشركين بين الأوس والخزرج كل فرقة من اليهود تتحيز إلى من حالفت، فتقاتل وممن تقاتلهم اليهود، فيقتل اليهوديُ اليهوديَ، وأيضا ينزّحه من دياره ويخرجه من دياره ويأخذ متاعه، وتخرجون أنفسكم من دياركم، أي تخرجون بعضكم بعض، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، مظاهرة ولفلفة الأقوال بالإثم والعدوان، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، والمفاداة مشروعة فيهم، فلما كانوا أخذوا المفاداة المشروعة واقترفوا الذنب الذي حرمه الله عليهم بقتل بعضهم بعضا، واقترفوا ذنبا آخر بأن بعضهم ينزح الآخر ويخرجه ويهجره من دياره، اليهود هكذا يفعلون مع من حالفوهم من المشركين، من انتصرت من فرقة على الأخرىٰ نكلت بها إلى مستوى الإخراج من دياره، قال الله عز وجل :{أَفَتُؤْمِنُونَ

بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} أفتؤمنون بالأسرى أنكم تفادوهم كما أمرتم وتكفرون بما أمرتم به من تحريم القتل بعضكم، وتحريم النهب لبعضكم، وتحريم التهجير والإخراج من الديار لبعضكم، فما جزاء من يفعل ذلك منكم، أي يفعل ذلك منكم يأخذ شيئا من الكتاب ويترك شيئا منه إلا خزي في الحياة الدنيا، فهذه سنة الله في خلقه أن من أخذ بعض الأدلة وترك بعضاً أن هذا سبيل الخزي لأنه ترك أمر الله وشرع الله ودين الله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)}[البقرة:208].

فمن أخذ بعضاً وترك بعضاً عرض نفسه للخزي في الدنيا، وأبان الله عز وجل أن من أسباب خزي الدنيا تعطيل المساجد هدم المساجد حساً أو معنى أو حساً ومعنى، بحيث أنه لا يقام دين الله، ولا يُعمر دين الله، فدين الله بنيت المساجد لإقامة دين الله،{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36)رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)}[النور:36،37].

فالذي يعطلها حساً أو معنى هذا يعرض نفسه للخزي الخزي الدنيوي والعذاب الأخروي،{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا}[البقرة:114].

هذا هو الخراب، إذا كان المساجد ما فيها ذكر الله ما ينشر فيها دين الله هذا هو الخراب:{أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)}

يشمل ذلك أبرهة الأشرم ومن معه أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم بيت الله، يشمل ذلك مشركي قريش الذين صدوا النبي صلى الله عليه

وسلم عن البيت وعطلوا العبادة فيه {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً}[الأنفال:34،35].

التصفيق والصفير ما يعمرون، ولا هم عمّار بيت الله، ولا عمّار المساجد، يشمل ذلك من تنصر أو من كان من أمثاله ممن هدم بيت المقدس وسائر من سعى في خراب بيوت الله وتعطيلها وتعطيل الشعائر فيها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، فأمر الله أن لا يدخل أحد من المشركين تلك المقدسات إلا خائفا، ما كان لهم ذلك، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم بل القرآن على المشركين دخول مكة، أمر أن يؤذن في العام التاسع أن لا يدخل بعد أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان،{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا}[التوبة:28].

هذا هو الذي يتعرض للخزي الدنيوي ولا تستكثر على الكافر وعلى المشرك ولا تتعجب إن رأيت منه المخزيات والمذهلات من الأعمال بشتى أنواعها، لا تتعجب لأن الله عز وجل قد أخبر أنهم لهم خزي في الدنيا فقد يخزيهم بالمسخ، وقد يخزيهم بمسخ الفطر، وقد يخزيهم بما يعلمه سبحانه وتعالى ويريده لهم من الخزي، هذا خزي في الدنيا.

ومن أسباب الخزي في الدنيا: هو محاربة المؤمنين وقطع الطرق والإفساد في الأرض، والفتنة فيها، قال ربنا سبحانه وتعالى:{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)}[المائدة:33].

هذا الذي أمر الله عز وجل به فيهم من التنكيل هذا خزي في الدنيا، هذا أراد الله عز وجل أن يخزيهم،{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ

غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)} [التوبة:14،15].

فقد أراد الله عز وجل الخزي لكل مبطل، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

ومن أسباب الخزي في الدنيا قبل الاخرة مع ما أعد الله عز وجل لمن أخزاه في الدنيا من العذاب العظيم في الآخرة الفتنة في الأرض والفتنة في دين الله، قال الله سبحانه وتعالى مبيناً على أن الذين يفتنون في الأرض:{وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)}[المائدة:41].

فالذي أراد الله فتنته والذي أصابه الله بالبلاء أنت لا تستطيع هدايته، أنت لا تستطيع أن ترده عن فتنته بشتى الوسائل،{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ} أصحاب النفاق{وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)} وتأمل كيف كيف ذم الله أصحاب هذا الصنف حتى صاروا مذبذبين، وهذه الذبذبة عين الخزي، فوصفهم الله بالذبذبة، ما عنده قناعة المنافق أخزاه الله ما عنده قناعة، قال الله:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ}[النساء:142،143].

حياة مرة يعيشونها دون قناعة بالحق، دون رضى به، حياة الذبذبة حياة المخادعة لدين الله وللمؤمنين، يخادعون الله وهو خادعهم، هذه صفاتهم، المنافقون وصفهم الله عز وجل بأنهم مذبذبون هذا والله خزي في الدنيا، وكم تقرأ في صفات المنافقين من الخزي حتى إنك تقرأ وتتعجب، تتعجب من كسلهم، تتعجب من نفاقهم، من ذبذبتهم، من مخادعتهم، من مكرهم، من كيدهم، من ميولهم إلى الكافرين،{هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167)}[آل عمران:167].

قال :{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2)}[المنافقون:1،2].

كل أحوالهم مذمومة، كلها خزي عليهم، عار عليهم، ما تقرأ في صفاتهم إلا عاراً وخزياً عليهم هذا في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم، فنعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، فقد جاء في مسند أحمد من حديث بسر بن أرطأة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من خزي الدنيا وعذاب الآخرة حسنه ابن كثير رحمه الله، وإن كان فيه بعض الذين مجاهيل الحال لكن الاستعاذة من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة استعاذة مشروعة، كان يستعيذ من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، فهذا خزي في الدنيا لا تستكثر على منافق وعلى كافر أن ترى منه العجائب بحيث أنك ترى منه التقلبات المخزية، المواعيد المكذوبة، الأفعال الشنيعة، الأفكار القبيحة، أفعال شتى، هذا كله خزي في الدنيا،{بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)}[التوبة:1،2].

هذا واجب أن يعلم، واجب أن يعتقد أننا لسنا معجزين الله:{وَمَا

كانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنّهُ كانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)}[فاطر:44].

وواجب أن نعتقد أن الله مخزي الكافرين في الدنيا ومخزيهم ومهلكهم في الآخرة، وأن الله مخزي الكافرين، ولا يرفع الله عن العبد الخزي والذل إلا بتوبة صحيحة، إذا كان مشركا كافرا منافقاً مفسداً لا يرتفع عنه ذلك إلا بتوبة، كما قال الله عز وجل :{فَلَوْلَا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلّا قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَتّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (98)}[يونس:98].

هم كانوا معرضين للخزي، كانوا معرضين للخزي الدنيوي ولكن لما تابوا رفع الله عنهم ذلك الخزي ومتعهم إلى حين، كشف الله عنهم البلاء، فالتوبة يدفع الله بها البلاء والخزي الدنيوي قبل الأخروي وقال الله عز وجل عن قوم نوح حين كان يصنع الفلك بأمر الله :{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلّمَا مَرّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنّا فَإِنّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38)فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (39)} وفعلا ما هي إلا الوقت القصير وإذا بعذب الخزي ينزل عليهم، والأرض تنهمر والماء ينفجر من الأرض، والسماء تنهمر بالمياه، {وَفَجّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كانَ كُفِرَ (14)}

وما آمن معه إلا قليل، والباقون أهلكهم الله عذابا خزيا في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار، هذه سنة الله في خلقه أن يخزي المبطل في الدنيا قبل الآخرة، أن يخزيه،{وَمِنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (8)ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلّ عَن سَبِيلِ اللّهِ ۖ لَهُ فِي الدّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9)}[الحج:8،9].

هذه صفات من يضل عن سبيل الله، متكبر ثاني عطفه، يجادل

بالباطل يريد يدحض الحق، هذا متعود من الله جل وعلا بالخزي الدنيوي قبل الأخروي، فإن رأيت أحدا حتى ممن ينتسب إلى الإسلام وقد أصابه الهوى وصار يجادل بالباطل، وصار يقلب الحقائق، وصار يعمل تلك الأفاعيل التي يتعجب منها أعلم أن الله قد أصابه بنوع من الخزي في الدنيا، هذا بداية شر أصابته، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق، {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (10)}

يا عباد الله : إن الخزي في الدنيا علامة سيئة على أهلها، لا تكون إلا لمن تسبب في حصولها وحضورها في نفسه ووقعها عليه، {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ} [الأنفال:53]

والله أراد لعباده الخير،{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:185].

قال :{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)}[النساء:26،27].

أخزاهم الله يريدون أن يجرفوا الناس إلى سبل الخزي والمهانة والذل في الدنيا والآخرة، الشيطان وجنوده،{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)}[النور:63].

قال الله سبحانه:{أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (24)كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25)فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26)}[الزمر:24،26].

الذين كذبوا الذين عصوا الله من قبل انظروا كيف صنع الله بهم، عذاب أذاقهم الله الخزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون، قال الله سبحانه وتعالى:{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (14) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا } أنظر كيف عذبهم الله أخزاهم في الدنيا{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (16)وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18)}[فصلت:13،18].

من الذي نجى من الخزي ؟ أهل الإيمان، أهل التقوى، والصنفان الذين أعرضوا عن الحق والهدى أخزاهم الله، أولئك أخزاهم بالريح أخذتهم فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم، أهلكهم الله، وثمود أهلكهم الله بالصاعقة، {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)}[يوسف:111].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي فطر الناس على الهداية، وحذّرهم من سبل الكفر والغواية، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد أيها الناس: فإن أصحاب الخزي في الدنيا هم الذين تنكروا للفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال الله عز وجل:{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)}[الروم:30].

فالله عز وجل خلق كل مخلوق مفطورا على حب الله، وعلى الإسلام كل مخلوق، وعلى الملة الحنيفية، {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ} أي هذا الدين الحنيف، هو فطرت الله التي فطر الناس عليها،{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ} قال ابن كثير رحمه الله في معنى الآية لا تبديل لخلق الله: قال: وقال بعضهم لا تبدلوا خلق الله وهو قول حسن صحيح أنه خبر يراد به الأمر ، أي لا تغيروا ما فُطرتم عليه، أنتم فُطرتم على الإسلام،

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه.

كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، البيهمة تولد مجتمعة الأطراف، فيأتي إليها ذاك المشرك يقطع وقال هذه بحيرة وهذه سائبة وهذه وصيلة ما فيها جدعاء، الله عز وجل خلق العباد مفطورين على طاعته، ولهذا من مات في الصغر قبل البلوغ فهو للجنة بالإجماع وإن كان من أبناء المشركين فهو للجنة على أصح الأقوال، لما ثبت من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" هل رأى أحدكم منكم رؤيا، ثم قال : أتاني البارحة

ملكان أو قال رجلان فقالا انطلق انطلق وذكر الحديث وفيه أنه مر برجل طويل في روضة معتّمة لا يكاد يُرى من طوله قال : وحوله أكثر من رأيت من الولدان ثم لما أخبروه قال : وأما الرجل الذي حوله الولدان فذاك إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وحوله كل مولود ولد على الفطرة، كل مولود مات على الفطرة مات أي في الصغر، هذا من الأدلة على أن أبناء المشركين الذين ماتوا في صباهم أنهم للجنة، لأنهم ما زالوا على الفطرة ما تغيرت، ما قد هوده أبوه اليهودي، أو قريبه اليهودي، أو جليسه اليهودي، ولا قد نصره النصراني، ما قد أعرب له لسانه، كما في الصحيح، ما قد انتقلت من فطرته إلى أخرى مازال على ما هو عليه وعلى الميثاق الذي أخذه الله منه،{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172)} [الأعراف:172].

وهذا الإشهاد بفطرتهم، فهذا الصبي الذي ولد ومات في الصغر مازال على ذلك الإشهاد بالفطرة، ومازال على فطرت الله لم ينقله ناقل، وإنما الفساد يحصل من الجليس، إن كان يهوديا نقله إليها، وإن كان نصرانيا نقله إلى النصرانية، وإن كان مجوسيا إلى المجوسية، بوذيا إلى البوذية، رافضيا إلى الرافضية، وهكذا كل من كان على فكرة ينقل ذلك الجليس ينقله الصبي إلى الفكرة ،فإذا يغير فطرته الذي لا يجوز له أن يغيرها فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ويؤيد ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، عند الإمام مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" قال الله عز وجل: وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ.التي فطروا عليه وخلقوا عليه، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا.

والشاهد من ذلك: أنهم مفطرون على دين الله وحب الله، وعلى الإسلام،

أجمع المسلمون على أن معنى قول الله عز وجل فطرت الله التي فطر الناس عليها أنه الإسلام، وأن الله يخلق جميع عباده مفطورين على ذلك حتى ينقلهم الجليس السيء إلى السوء أو يستمر مع الجليس الصالح على الصلاح، هذا لتعلموا أضرار الجلساء، الصاحب ساحب ناقل ناقل، ناقل من الفطرة إلى الهلكة، الفطرة السليمة القويمة المستقيمة، ولهذا تأملوا في أحوال الذين أخزاهم الله في مثل هذه الآونة كيف يحاولون تغيير فطرت الله وتبديل فطرت الله فيحاول من أن يتبدل من رجل إلى امرأة، هذه فطرة الله خلق الرجل رجل وفطره على أنه على هذا الحال، وحب هذا الحال، وحب الرجولة، والمرأة على هذا الحال وحب الأنوثة والميل إلى ما كان يشاكلها مما تحتاج إليه وهو كذلك الميل إلى النساء، هذه فطرة، فأبى من أخزاهم الله إلا تغيير الفطرة والخلقه، تغيير ما نهى الله عز وجل عن تغييره وحرم تبديله.

أيها الناس: وجب على المسلمين أن يحمدوا الله على العافية، وجب على المسلم أن يثبت على دينه، وأن يستقيم كما أمر،{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (113)}[هود:112،113].

ما اكتفوا بهذا التغيير إلى هذا التاريخ لم يكتفوا بهذا التغيير الشنيع المخزي، أن يأتي إنسان بوجهه وبشاربه يقول عفوا أنا فلانة، أنا ما أنا فلان أنا ما أحب أن يقال لي فلان أنا فلانة، وأنا لا أحب أن أميل إلى النساء أنا أميل إلى رجل وأريد أن أتزوج رجلا، وأنا كذا إلى مستوى مخزي وغير ذلك، بل إن من تغيير الفطرة أن الإنسان يحب البشرية، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)}[الإسراء:70].

كما أنا الرجل يحب الرجولة والمرأة تحب أنوثتها وتميل إليها، والإنسان ككل يحب البشرية ويفتخر بها أنه من بني آدم، ولكن لما مسخت فطرهم صار من ألوف مؤلفة من يميل إلى الفكرة الحيوانية حتى يظهر نفسه على صورة كلب، ويتكلف العمليات الشاقة إلى أن يصير له فم واسع ولسان يلهث وهكذا أيضا يمشي على أربع إلى هذا الحال،{رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (192) } خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر ،قال يا رسول الله استعملني أي اجعلني عاملا على بعض الأعمال، قال: يا أبا ذر إنها أمانة، أخذ بمنكبي وقال يا أبا ذر إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامى، إلا من أخذها بحقها وأدى حقها فيها، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، الشاهد على أن هذه الحياة هي تكاليف شرعية من قام بها رفعه الله وأعزه، العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ومن تخلى عنها أذله الله وأهانه حتى يصير كأعداد الحيوانات بل أسوء حالا ،{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)}[الفرقان:44].

قال:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)}[الأعراف:179].

فهذه الصفات صفات من أعرض عن ذكر الله في الضنك الدنيوي والشقاء الأخروي،{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125)قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (126) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (127)}[طه:124،127].

نسأل الله العافية، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.